

12 - من حيث انه لا يخلق على طول الأزمان، ولا يمل منه، بل كلما تلوته ونظرته وجدته طرياً، وهذه الخاصية لا توجد في غيره.

* * *

وممن يرى هذا الرأي السديد من الأئمة المعاصرين الامام المصلح أستاذنا الأكبر الحجة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، فقد جاءه في كتابه: "الدين والاسلام" ما ملخصه: حقيقة الاعجاز هو الكلام الذي يعجز عامة أهل اللسان عن الاتيان بمثله، أو الاتيان بما هو من نسخه، وعلى طرزه وأسلوبه، كهذا الاعجاز المحمدي، فان وراء اعجازه ما عجز أهل اللسان عن مباراته وأدهشهم. وأعجزهم عن معرفة نزعتهم وجنسيته، فلم يعرفوا والى الآن، أنه من قبيل الشعر أو الخطب أو الرسائل أو الرجز أو الهزج أو غير ذلك من أنواع الكلام وأمهات أبوابه، نعم ما عرفوا سوى أنه خارج عن تلك الأنواع غير داخل في شيء من هاتيك الأبواب، ما أصابوا من حقيقته سوى أنهم ما أصابوها، وما عرفوا غير أنها غريبة ما عرفوها، ومنتهى فساد القول بأن اعجاز القرآن ليس هو بجوهره وذاته، بل بالحجز عنه والصرفة دونه، ان ذلك الا رأى عازب وقول كاذب، قول من لم يجعل له من معرفة البلاغة حظاً، ولا حصل من شرائف حقائقها ومعانيها الا حكاية ولفظاً، فمن ضائقة العجز والجهالة، لجأ إلى هذه المقالة، وظل يخطب في أمثال هذه الضلالة، ولست أدري لهذه الشبهة صورة صدق ولباس حق يدعو إلى توفر العناية في شأنها، وايضاح بطلانها، لاسيما وكل من عنى بهذا الشأن وتصدى لعلم بلاغة القرآن قد شنع على هذا القول، وبالع في بطلانه واحالته، على أن من نسب إليه ذلك لم ينقل عنه الاستناد إلى حجة ولو ضعيفة، والتعويل على شبهة ولو سقيمة، وإنّما هو رأى رآه، أو احتمال أبداه، والسداد عزيز والصواب معوز، الا بتأييد من لا ولف منه، واليه نرغب في ذلك، فانه منتهى الرغبة، ومحط نجاح كل حاجة وهو أرحم الراحمين.

وقد أصدر قبل أيام علامتنا الحكيم السيد هبة الدين الحسيني، المشهور بالشهرستاني رسالته (المعجزة الخالدة) تناولت البحث عن أسرار معجزة القرآن